تحليل الخطاب القرآني في ضوء المنهج السيميائي

د ، مختار درقاوي
الطالبة: حيزية كروش
جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف

الملخص

يعد تفسير القرآن الكريم البوتقة الأولى التي فجرت الدرس اللغوي حيث اهتم العلماء اللغويون العرب بخدمته في جميع المستويات اللغوية المتضمنة في ثنايا الخطاب القرآني من نحو و صرف وصوت و دلالة ، فعملوا على التفسير والتأويل وتشريح بناه العميقة و السطحية على حد سواء.

الدرس اللساني المعاصر بمناهجه على غرار كل المجالات الأخرى اهتم بفك شفرات القرآن الكريم للوصول إلى الدلالة المستوحاة و تصحيح كل تغليط أو توضيح كل منهج أو تعزيز كل معنى والمنهج السميائي من ضمن المناهج التي استغل العلماء في تطبيقها في استبطان القرآن الكريم لاستقراء آياته و استكناه دلالته المتواري خلف المفردات ، مراعيا بذلك كل الأسيقية التي ولد في حيزها الخطاب القرآني ، حيث يذيل النسق تحليلات فيزيقية تعمد إلى استنطاق كل التقنيات المتوافرة لدى الدارس.

إلا أن هذا لا يتم إلا بضمان الدقة المتناهية و توخي الحذر في التعامل مع هذا الخطاب المقدس الذي لا يجوز المساس لمضامينه و بناه بأي حال من الأحوال من هذا المنطق نطرح الإشكالية التالية : ما هي تجليات المنهج السميائي في تحليل الخطاب القرآني و إلى أي مدى تكمن فاعلية في استكناه البنية العميقة ؟

1-مفهوم الخطاب:

الخطاب لغة جاء من مادة (خ ط ب) و هو من الخطاب و المخاطبة مراجعة الكلام و قد خاطبه بالكلام مخاطبة و خطابا و هما يتخاطبان ...قال الليث:" إن الخطبة مصدر الخطيب ..."1، فالمعنى اللغوي للفظ الخطاب يدل على التحاور فكما جاء في كتاب الكليات " هو الكلام الذي يقصد به الإفهام ، إفهام من هو أهل للفهم و الكلام الذي لا يقصد به إفهام المستمع فإنه لا يسمى خطابا"2

فالخطاب يقوم على توافر عنصرين أساسيين و هما المخاطب و الخطاب حيث يتساويان على إنشاء الرسالة و تمرر بها وفقا لنسق إفهامي خاضع لآليات بيولوجية و تواصلية، فالغاية من الخطاب هي الإبانة و الإفهام.

والتعريف الاصطلاحي على غرار المفهوم اللغوي للكلمة الخطاب حيث تجاذبتها أفكار العلماء بالتعريفات و التصريحات المباشرة بمكنونها الدلالي حيث عرفهم أحدهم :" بأنه مجموع قواعد تسلسل وتتابع الجمل المكونة للمقول و أول من أقترح دراسة هذا التسلسل هو اللغوي الأمريكي " زليغ هاريس"3 أي أنه عبارة عن مثال متناسق لجملة من الأفكار المتمحورة في قالب لفظي ذي شفرات مفهومة لدى كل من المرسل و المرسل إليه أو هو اللغة في حالة الفعل ومن حيث هو ممارسة تقتضي فاعلا وتؤدي من الوظائف ما يقترب بتأكيد أدوار اجتماعية معرفية بعينها"4

الخطاب هو عبارة عن ميكانيزم لغوي له دوافع إفهامية تسهم في إسناد الدورة التواصلية تستلزم طرفين متناسقين و قابلين لعملية إنشاء الخطاب حيث لا بد لكل طرف أن يؤدي الوظيفة المطلوبة منه بناء على خطاب وجه إليه أو هو من قام بتوجيهه و عليه فالخطاب هو آلية المتلقي لإقامة التحاور الفعال والمفهوم بين البشر إذ لا غنى له عن التكلم بصفة خطابية تقتضي حاجته اللغوية إلى بعث ورائها الحفاظ على بقائه و كينونته.

2- مفهوم تحليل الخطاب:

خلق الله سبحانه و تعالى الإنسان و غرز فيه فطرة تحليلية تعمد إلى تشريح الكلام المقال ، وتفكيك كل شفراته الخطابية الموجهة إليه ، معززة بذلك بأسلوب معرفي قائم على التوجيه الدلالي بحسب السياق المقال فيه ذلك الخطاب

www.manaraa.com

واللسانيات التطبيقية التي هي فرع من فروع اللسانيات العامة أخذت الخطاب كمادة أساسية لإجرائها تطبيقاتها التحليلية ، فتحليل الخطاب بالمصطلح المعاصر هو عبارة عن " نشاط إنساني يومي تمارسه بوحي حاضرا أو كامنا فهذا زمن تحليل الخطاب بامتياز5.

يلجأ المتلقي إلى جملة من العمليات العقلية الإدراكية المعقد لفك البنى المتضمنة في الخطاب اللغوي بغية الوصول إلى المقصود، وهذا ما يسمى بالتحليل، فهو يحاول أن يتم الدورة التخاطبية بأي شكل، والخطاب لا يمكن أن يصبح خطابا إلا إذا تمكن المتلقي من استيعاب الرسالة المبعوثة من قبل المتكلم.

فكثير من الناس تتداعى لديه آليات التحليل حيث يتغلغلون في كل ما يسمعونه ويقرؤونه و بين فهم المضمون " فالغالبية من المثقفين و المفكرين يدركون ذلك ولكن على غير وعي منهم بأدوات الخطاب المنهجية الداخلية المضمونية والخارجية الشكلية6

و تحليل الخطاب في نظر براون و ج بول هو :" بالضرورة تحليل اللغة في الاستعمال"7

أي أن إلزامية الاستعمال المفروضة على محلل الخطاب و دراسة تحليل الخطاب تقتصر على القضايا التالية:

- تحليل الخطاب باعتباره دراسة للخطاب أي دراسة الاستعمال الحقيقي للغة من قبل متكلمين حقيقيين في وضعيات حقيقية .
- تحليل الخطاب باعتباره دراسة للتحادث
- تحليل الخطاب و منا تتحدث عن الخطاب8

تحليل الخطاب هو فلسفة تكمن أهميتها في كيفية التلقي إذ يعرج السامع إلى كل أشكال الحديث ليتمكن من استقراء المحتوى و يستفرغ كل ديناميكيته الاستعمالية لبلوغ المستوى الدلالي ، و يرتقي بفكره إلى درجة الخطاب أو يدنيها طبعا و هذا ما يفرضه نمط الخطاب الملقى إذ لابد من وجود توافق مستوياتي بين الرسالة و المتلقي.

خلاصة القول أن تحليل الخطاب مصطلح مركب من آليتين الأولى هي التحليل و الثانية هي الخطاب، و التحليلي هو الواسطة المثلى لدراسة الخطاب اللغوي.

3- مفهوم الخطاب القرآني

الخطاب القرآني هو كلام الله موجه في معظمه إلى من شهدوا نزول القرآن بشكل خاص موجه إلى الرسول عليه الصلاة و السلام، و بشكل عام لسائر

الناس9: فقال تعالى: ﴿ لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم أفلا تعقلون ﴾10

فالخطاب القرآني مجموع المعاني التي وجهها الله عز وجل إلى عباده مخاطبا إياهم بالأمر و النهي و السرد، و قد أجمع المسلمون على أن القرآن كله كلام الله أي أن الله عز و جل هو الناطق بكل ما ورد في الكتاب الذي نزله على محمد صلى الله عليه و سلم ، لا بمعنى كل خطاب من الله تعالى فإن مثلا ﴿ إياك نعبد وإياك نستعين ﴾11 ليس خطابا إلا من العبد.

و من المعروف أن للخطاب مصدرا و منتهى ، فالمصدر إما هو الله تعالى أو جبريل عليه السلام أو الرسول عليه الصلاة و السلام أو الناس و أما المنتهى فهو الله تعالى أو الرسول أو الناس أما المؤمنون و المنافقون أو أهل الكتاب أو ذرية إسماعيل عليه السلام أو اثنان منهم أو ثلاثة أو أجمعهم و أصل الكتاب إما اليهود وإما النصارى أو كلاهما فهذه ظاهر الوجوه12.

الخطاب القرآني هو كلام الله عز و جل الذي جعله إلى عباده من و سمي قرآنيا نسبة إلى القرآن الكريم حيث ورد بالوحي عن طريق جبريل عليه السلام ليصل إلى الرسول عليه الصلاة و السلام لينقله إلى البشرية جمعاء متميز بالتداول و

www.manaraa.com

الديمومة والخطابة المطلقة التي لا تعرف التغييب فهو يخاطب الجيل السابق و اللاحق ويصلح لكل زمان و مكان و هو أنواع:

- خطاب عام و المراد به العموم: ﴿ إن الله بكل شيء عليم ﴾13
- الخطاب الخاص و المراد منه الخصوص: ﴿ أكفرتم بعد إيمانكم ﴾14
- خطاب العام و المراد به الخصوص: ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم ﴾15
- خطاب الخاص و المراد به العموم: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ۚ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ ۚ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا ﴾16
- خطاب الحبس: ﴿ يا أيها الناس اعبدوا ربكم ﴾17
- خطاب النوع: {وَأَوْفُواْ بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ} 18
- خطاب الذم: ﴿ يا أيها الذين كفروا ﴾19

أنواع الخطاب القرآني كثيرة و متعددة و أغراضها متنوعة فلكل خطاب سياقه الصريح أو السميائي الذي يحدد دلالته، فالله عز و جل قال كل كلمة بقدر وحكمة حيث أنها أنشأت في قالب بلاغي يصعب على المتلقي العادي فهم معناه، لهذا نجد ما يسمى برهاب التفسير والتحليل نظرا لصعوبة الخطاب القرآني وقدسيته، فليس كل مذهب قادر على التحليل فهذا النوع من الخطاب يختلف عن الخطاب العادي الذي يدركه المتلقي إما بوعي أو غير وعي ، بل هو خطاب خاص من حيث الدلالة ومن حيث القالب اللفظي.

4- مفهوم المنهج السميائي:

ولدت اللسانيات المعاصرة مناهج حديثة بغية دراسة اللغة الإنشائية و المنهج السميائي من ضمن المناهج التي اهتمت بها و بترسيخها المدارس اللسانية في ساحة الدرس اللساني و خاصة في العقود الأخيرة حيث شهدت تعاطيا كبيرا في مجال تحليل الخطاب حيث يهدف إلى التأويل و استنطاق النص بشكل لا يفسد دلالة المعاني الحقيقية للبنى العميقة20 ، فالمنهج السميائي من ثمار الدرس اللساني للانفتاح على البنى النص الداخلية و الخارجية ، المنهج السميائي تجاوز اللسانيات التي تتخذ اللغات الطبيعية موضوعا لها إلى دراسة مختلف العلامات داخل الحقل الاجتماعي.

هذا المنهج يحاول جهد إيمانه تجاوز التحليل البنيوي المعطى المحايث المعمول للبنى السطحية وحدها عاقدا على تناول معطيات البنية العميقة المستثمرة كل الأنظمة الدالة المنطوية عليها النتاج الخطابي، مقتفيا أثر كل العلامات السميائية الموظفة فيه لاستكناه المعاني المسكوت عنها سواء كانت هذه العلامات لغوية أم غير لغوية"21

المنهج السميائي من بين أهم المناهج التي تشتغل عليها البنية العميقة للوصول إلى المعاني الخفية فهو آلية من آليات الاستقراء و الاستكناه التي تقوم على تقفي الوجوه البلاغية التي من شأنها أن تضمن الملامح السميائية التي تؤسس للدلالة المضمرة و عليه فالمنهج السميائي في تحليل الخطاب القرآني له فاعلية في تحديد الدلالة بنوع من الدقة و الشمول و ذلك بتجاوز مستوى البنى المرئية إلى مستوى أعمق بعيد عن العين المجرد ،و لا يتناول إلى متمرس قادر على التأويل و التفسير.

5- استكناه المضمون الدلالي للخطاب القرآني:

www.manaraa.com

تنطلق دراسة الخطاب القرآني من البنية السطحية إلى البنية العميقة أو العكس من بنية المعنى إلى سميائية الدال فنبدأ عملية الاستكناه من " مرحلة التلقي إلى مرحلة التأويل ثم مرحلة التبليغ"22و من بين الآليات التي اتخذت كوسيلة لتحليل الخطاب القرآني التفسير و قد اعتمد التفسير بالذات لأنه يلج في غور المدونة القرآنية و يبحث في انسجام النص القرآني و ذلك من خلال آلية السياق التي يعتمدها الدارس في تحليله الخطاب القرآني و السياق القرآني هو " تتابع المعاني و انتظامها في تلك الألفاظ القرآنية ... و هو امتداد للقول بأن القرآن ترتيبه توقيف من الله"23 و للسياق فوائد في استكناه المضمون القرآني نخلصها

- توجيه التشابه
- التنوع الدلالي
- الترجيح الدلالي
- دفع شبهة التكرار المعنوي
- تخصص العام
- دفع الأوهام24

الاستكناه هو ملمح سيميائي يعمل على البحث في المضمر الخفي و تجليته للمتلقي و يقوم الاستكناه على ربط السياق الخارجي بالصورة المتكاملة للدلالة ذات الاستراتيجية التداولية و الافتراضات المسبقة و الألفاظ المشبعة بالاحتجاج و الاستشهاد في المؤلفات السابقة لذات الخطاب" الخطاب القرآني"، إلا أنه و مهما حاول علماء اللغة و المفسرون استكناه المضمون الدلالي للخطاب القرآني فإنهم يبقون قاصرين غير قادرين على الإحاطة بتحليل هذا النوع من الخطاب نظرا لقدسيته و حساسية تعامله.

6-أنواع الاستكناه

1 –استكناه المكتوب : و يتم ذلك باستقراء المدون القرآني من خلال تشريح الدوال اللفظية ، حيث تتخذ كبوابة للولوج إلى المضمون و لا يتم هذا إلا إذا توفر القاموس المعجمي المزدوج الإيديولوجي (من القديم إلى الحديث) و يكون ذو قاعدة متينة.

2 – استكناه السياق: و هذا من خلال الأنشطة الاجتماعية و الحيثيات التي أنشأ في خضمها الخطاب وهو في القرآن يسمى بمناسبة نزول السورة حيث يربط الواقع المعاش بالخطاب المقال لفهم كل المعاني المنتظمة.

3 – استكناه المخاطِب : و ذلك بمعرفة المقال الذي قيل فلا يمكن التعامل مع الخطاب القرآني ببساطة كما يتعامل مع النص الشعري و النثري الصادر عن البشر، بل يجب أن توضع بعض الأسس و القواعد فالقائل هو المولى عز و جل الناقل جبريل و الملقي محمد عليه الصلاة و السلام ، توتر نابع عن المعبود الخالق الواحد الأحد الذي لا يعلى عليه، إذ لا بد من استكناه هذا القدر العالي وإعطاء الخطاب القرآني حقه و مستحقه.

4 – استكناه المخَاطَب : و يتعلق ذلك بمراعاة نفسية المخاطَبْ أو الملقي أيه فالغالب يكون الشخص غير قادر على استيعاب هذا القول المعجز لأنه ذو مستوى محدود خاصة المخاطب الأمي الذي يعجز عن معرفة المقصود لأنه يتعامل مع لغة يصعب فهمها ، كما يجب أن يكون ذا رؤية عميقة و نظرة ثانية وقدرة تلقي غير عادية حتى يحصل الفهم الفعلي للخطاب القرآني لذا وجب أن يستكنه المخاطب قبل أن يقال الخطاب أثناء عملية نقله من قبل أشخاص عاديين و خاصة في الحالي الذي من ضعف لغوي واضح.

خاتمة:

www.manaraa.com

تمخض هذا البحث عن جملة من النتائج المتوصل إليها من خلال التنقيب، حيث تمثل حوصلة كل ما تم البحث فيه في متون الكتب والمقالات، ويمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

1- حساسية التعامل من الخطاب القرآني، ولدت رهابا لدى الدارسين من تحليله وتفكيك شفراته.

2- المنهج السيميائي من بين المناهج اللسانية المعاصرة التي تسمح باستنكاه المضمون .

3- تحليل الخطاب من بين الدراسات الحديثة التي استقطبت اهتمام الباحثين.

4- المنهج السيميائي يتعامل مع النصوص من حيث المجاز والتورية وغيرها من الظواهر البلاغية وغير البلاغية.

5- قراءة الخطاب القرآني من منظور سيميائي هي قراءة متعددة ومنفتحة تخرج النص من بنياته المغلقة في دوالها إلى أقدار مدلولاتها لتستشرق المعاني.

6- الخطاب القرآني نص مقدس معجز يمثل بؤرة الدراسات الألسنية المعاصرة والقديمة.

7- تحليل الخطاب القرآني في ضوء المناهج اللسانية الحديثة فتح أفقا تفسيرية جديدة.

الهوامش:

1. ابن منظور ، لسان العرب ، دار إحياء التراث،بيروت، لبنان ط2،1997،مج1،ص 361.
2. الكفوي، الكليات، معجم المصطلحات و الفروق اللغوية،تح: عدنان درويش ومحمد الحصري،مؤسسة الرسالة بيروت،ط1، 1992 ،ص 419.
3. جابر عصفور، أفاق العصر،دار الهدى للثقافة و النشر، سوريا،ط1،1997،ص47.
4. وليد عناني،تحليل الخطاب،و تعليم مفردات العربية للناطقين بغيرها،مجلة البصائر،ع1،مج13،ربيع الاول1431،أذار 2010،ص 93
5. المرجع نفسه،ص 93.
6. بشرى موسى صالح،نظرية التلقي أصولها و تطبيقاتها، المركز الثقافي العربي،ط1،2001،ص50.
7. بن تومي اليامين، محاضرات تحليل الخطاب، النظرية و التطبيق،ص7.
8. خالق داد ملك،الخطاب القرآني و أنواعه،دراسة بلاغية في ضوء الفتح المحمدي في علم البديع و البيان و المعاني،مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب لاهور،باكستان،ع22،2015،ص 68.
9. سورة الأنبياء، الآية: 10
10. سورة الفاتحة: الآية:4
11. خالق داد ملك، الخطاب القرآني و أنوعه،ص62.
12. سورة المجادلة: الآية: 9.
13. آل عمران، الآية: 106.
14. سورة النساء: الآية:1.
15. سورة الطلاق، الآية: 1.
16. سورة البقرة، الآية:104.
17. سورة البقرة: الآية: 40.
18. سورة التحريم، الآية: 7
19. محمد خاقاني، المنهج السميائي آلية المقاربة الخطاب السردي الحديث وإشكالياته مجلة دراسات في اللغة العربية و آدابها،ع2،صيف 2010/1389 ص 1
20. بومعزة رابح، تحليل البنى العميقة للنص الأدبي في ضوء المنهج السميائي كلية الآداب و العلوم الاجتماعية و الإنسانية،جامعة محمد خيضر،بسكرة الملتقى الثالث السيمياء و النص الأدبي ، ص 385.
21. حسين خمري،نظرية النص ، منشورات الاختلاف،الجزائر ط1،2007،ص16.

www.manaraa.com

22. سعيد بونوار، آليات تحليل الخطابي في تفسير أضواء البيان للشنقيطي،تحديد المفاهيم النظرية رسالة دكتوراه،جامعة قاصدي مرباح، إشراف:البوخ بو جملين ، كلية الآداب و اللغات ،قسم اللغة و الأدب العربي، ورقلة، الجزائر ، 2012/2011، ص 21.

23. المرجع نفسه، ص ن.

*القرآن الكريم

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة :

1. ابن منظور ، لسان العرف ، دار إحياء التراث،بيروت لبنان ط2،1997،مج1

2. بشرى موسى صالح،نظرية التلقي أصولها و تطبيقاتها، المركز الثقافي العربي،ط1، 2001.

3. بومعزة رابح، تحليل البنى العميقة للنص الأدبي في ضوء المنهج السميائي كلية الآداب و العلوم الاجتماعية و الإنسانية،جامعة محمد خيضر،بسكرة الملتقى الثالث السيمياء و النص الأدبي .

4. جابر عصفور، أفاق العصر،دار الهدى للثقافة و النشر، سوريا،ط1، 1997.

5. حسين خمري،نظرية النص ، منشورات الاختلاف،الجزائر ط1، 2007.

6. خالق داد ملك،الخطاب القرآني و أنواعه،دراسة بلاغية في ضوء الفتح المحمدي في علم البديع و البيان و المعاني،مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب لاهور،باكستان،ع22،2015.

7. سعيد بونوار، آليات تحليل الخطابي في تفسير أضواء البيان للشنقيطي،تحديد المفاهيم النظرية رسالة دكتوراه،جامعة قاصدي مرباح، إشراف:البوخ بو جملين كلية الآداب و اللغات ،قسم اللغة و الأدب العربي، ورقلة، الجزائر 2012/2011

8. الكفوي، للكليات، معجم المصطلحات و الفروق اللغوية،تح: عدنان درويش ومحمد الحصري،مؤسسة الرسالة بيروت،ط1، 1992.

9. محمد خاقاني، المنهج السميائي آلية المقاربة الخطاب السردي الحديث و إشكالياته مجلة دراسات في اللغة العربية و آدابها،ع2،صيف 2010/1389 .

10. وليد عناني،تحليل الخطاب،و تعليم مفردات العربية للناطقين بغيرها،مجلة البصائر،ع1،مج13،ربيع الاول1431،أذار 2010

www.manaraa.com